بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الاثنين ٢٩ ذو الحجة ١٤٣٤ هـ / ٤ تشرين الثاني ٢٠١٣ م العدد ١٣٣

نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل احاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

المرأة وطلب المعالي

الذين بدّلوا نعمة الله كفراً

سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله): قانونا المحكمة الجعفرية والأحوال الشخصية الجعفري نصرة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وتحقيق للعدالة الاجتماعية

أشاد المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بالخطوة المبدئية والشجاعة التي أقدم عليها وزير العدل العراقي بتقديم مشروع قانوني المحكمة الجعفرية والأحوال الشخصية الجعفرية إلى الحكومة لغرض التصويت عليها قبل عدة أيام.

ودعا سماحته الجهات ذات العلاقة- وكل من يشعر بمسؤوليته تجاه بلده- إلى الثناء على هذا الموقف ودعمه وحشد الرأي العام باتجاه إقراره وإنفاذه وقال سماحته في كلمة ألقاها أمام حشد من الوفود الزائرة لمكتبه في النجف الاشرف: إن المطالبة بسن مثل هذه القوانين مطالب مشروعة وحق كفله الدستور العراقي الذي يمنع من سن أي قانون يخالف ثوابت الإسلام وليس فيه تعد على حق احد باعتباره لا يلغي العمل بالقانون الوضعي الساري او تجاوز على حرية احد، بل ان من مقتضيات وجود المجتمعات المدنية المتحضرة هو توفير فرصة للمواطنين لان يمارسوا سلوكياتهم الشخصية ويتقاضوا لدى الجهات القضائية التي تتفق مع معتقداتهم الدينية والمذهبية والتي اقرها الدستور من دون تجاوز على حقوق الآخرين.

وأضاف سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله): إن قانون الأحوال الشخصية الوضعي المدني النافذ الآن يتضمن عدة مواد مخالفة للشريعة الإسلامية وهي قضايا ترتبط (بعقود النكاح، والطلاق، والوصايا، والقيمومة، والإرث) فوجود مخالفات صريحة للشريعة السمحاء يؤدي الى وقوع الناس في مخالفات شرعية مالية وشبهات نسبية وغيرها، وهذا فيه سلب للحريات وتجاوز على المعتقدات.

وأكد سماحته على ضرورة الالتفات إلى أن توفير فرص متكافئة للمواطنين في اختيار احد القانونين (المدني الوضعي أو الشرعي الجعفري) ليحتكموا إليه في دعاواهم ليس فيه تجاوز على الحرية والديمقراطية المدعاة ولا على وحدة النسيج العراقي المتنوع في الأديان والطوائف، إذ ليس فيه إلغاء للقوانين الأخرى أو منع من الترافع لدى المحاكم المدنية، والناس مخيرون في ذلك فلا (إكراه في الدين) كما جاء في الآية الشريفة فكما لا ننكر الآخرين على شيء من تجاوزاتهم وسلوكياتهم كذلك لا نرضى أن يكرهونا على شيء من ذلك، والله تبارك وتعالى هو المتكفل بحساب عباده فيما اختاروا.

شرف خدمة أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم (١)

روي أن أبا عبدالله (عليه السلام) كان عنده غلام يمسك بغلته اذا هو دخل المسجد، فبينما هو جالس ومعه البغلة اذا اقبلت رفقة من [illegible]ان، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله ان يجعلني مكانك، وأكون له مملوكاً، واجعل لك مالي كله، فاني كثير المال من جميع الصنوف، اذهب فاقبضه، وأنا أقيم معه مكانك؟

فقال: أسأله ذلك.

فدخل على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: جعلت فداك تعرف خدمتي، وطول صحبتي، فان ساق الله اليّ خيراً تمنعنيه؟

قال: اعطيك من عندي، وامنعك من غيري.

فحكى له قول الرجل، فقال: إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا، قبلناه، وأرسلناك. فلما ولى عنه دعاه-الإمام-فقال له: أنصحك لطول الصحبة ولك الخيار، فإذا كان يوم القيام كان (ﷺ) متعلقاً بنور الله، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) متعلقاً برسول الله، وكان الأئمة متعلقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلقين بنا، يدخلون مدخلنا ويردون موردنا.

متعلقاً بنور الله، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) متعلقاً برسول الله، وكان الأئمة متعلقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلقين بنا، يدخلون مدخلنا ويردون موردنا.

فقال الغلام: بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا. وخرج الغلام إلى الرجل فقال له الرجل: خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به! فحكى له قوله (أي قول الإمام سلام الله عليه)(٢).

أقول: هذا بعض ما أعده الله تعالى من الشرف والكرامة لخدام أهل البيت (عليهم السلام) الموالين لهم مما لا يعدله شيء من هذه الدنيا الزائلة، وهكذا يتنافس عليها العارفون بها.

وقد تسأل بأن هذا الشرف هل هو مخصوص بمن عاصرهم وأتيحت له فرصة خدمتهم ويحرم منها غيرهم كأجيالنا الحاضرة وهذا ينافي عدالة الخالق ولا يليق بسعة رحمته وكرمه.

والجواب يكون بالالتفات إلى أن خدمتهم (عليهم السلام) لا تقتصر على قضاء الحوائج الشخصية لهم حتى تنحصر بمن عاصرهم وباشرهم فإن من أرقى أشكال خدمتهم دراسة علومهم وسيرتهم ونقلها إلى الناس وقد وردت عنهم (عليهم السلام) كلمات جليلة في حق أصحابهم الذين قاموا بهذا الدور بحيث ورد في الحديث أن تعليم حديث واحد من أحاديثهم أفضل مما بين المشرق والمغرب، وهذه فرصة متاحة للجميع ولا تنحصر بطلاب الحوزة العلمية، ووسائل الاتصال الحديثة أتاحت فرصة واسعة جدا للحركة.

وهكذا تتنوع الخدمة بحسب قابليات الشخص ومؤهلاته، فالبعض يقيم المجالس الحسينية والبعض الآخر يخدم الزوار ويوفر لهم الطعام وأسباب الراحة وسائر الخدمات، أو يشارك في المواكب والشعائر، ووسائل الإعلام تقدم خدمة بعرض هذه الحركة المباركة التي أقنعت الكثيرين بدراسة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) واعتناقه عن معرفة، فانتشر ووصل إلى بلدان لم يكن في المستطاع الجهر فيها بالدعوة إلى أهل البيت (عليهم السلام) في البلاد العربية وغيرها من بلدان العالم، ولا شك أن هذه الخدمات ليست أقل من عمل ذلك الغلام الذي ذكرته الرواية المتقدمة.

وقد تكون خدمة أهل البيت (عليهم السلام) بمواقف تنصرهم وتعز كلمتهم وتقوي وجود شيعتهم كالقانونين الأخيرين للأحوال الشخصية وفق الفقه الجعفري والمحكمة الجعفرية العليا الذين قدمهما وزير العدل معالي الشيخ حسن الشمري(٣).

ولا نغفل أيضا عن أي خدمة نقدمها لأحد المؤمنين من خدمة لأهل البيت (عليهم السلام) لأنهم أولياء أمورهم وآباؤهم المعنويون كما أن أي أب يتشكر عندما تقدم خدمة لولده، ويتضاعف الجزاء حينما يكون المؤمن من ذرية رسول الله (ﷺ).

عن رسول الله (ﷺ) قال: (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه.(٤)

وفي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن وجميع ولده وأهل بيته، وفيها: (الله الله في ذرية نبيكم، فلا يظلمن بحضرتكم وبين ظهرانيكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم.(٥)

في أصول الكافي بسنده عن عمر بن يزيد قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿الذين يصلون ما أمر الله أن يوصل﴾، فقال (عليه السلام): نزلت في رحم آل محمد (ﷺ).(٦)

إن الالتفات إلى هذه المعاني سيزيد من الحافز والهمة والحماس للمساهمة في هذه الخدمات الجليلة والله ولي التوفيق.

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع تجمع أئمة الجمعة في محافظة القادسية يوم ٢٠/ ذ.ح/١٤٣٤ الموافق ٢٦ /١٠/ ٢٠١٣ (٢) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة للشيخ عباس القمي: ٢٨٣

(٣) نشر نص الكلام حول هذه القضية في بيان صحفي مستقل. (٤) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٥ باب ٣١. (٥) الكافي: ج ٧ ص ٥٢ باب صدقات النبي... ح ٧. (٦) الكافي: ج ٢ ص ١٥٦ باب صلة الرحم... ح٢٨.

الذين بدّلوا نعمة الله كفراً (٧)

من آداب تلاوة القرآن الكريم أن نقف عند كل آية عذاب وتحذير وتخويف وتهديد لنتوقع استحقاقنا لها، وأن نقف عند كل آية وعد وترغيب وتكريم ونعيم لنرجو أن نكون مشمولين بها، ولا نتصور أننا في مأمن ومنأى من آيات التخويف والتهديد، ورد في وصف سيرة الإمام الرضا (عليه السلام) إنه كان (يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مر بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ من النار)(٨) وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في صفة الذين يتلونه حق تلاوته قال (عليه السلام) (ويرجون وعده ويخشون عذابه)(٩) ولنأخذ ذلك مثلا قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾ (إبراهيم/٢٨).

يتصور أكثر الناس أن النعمة هي المال والحياة المرفهة، وهذا لا شك مصداق مهم للنعمة لكن مصاديقها أوسع من ذلك بكثير مما لا يلتفت إليه أغلب الناس، عن رسول الله (ﷺ) قال (الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان) وعنه (ﷺ) (نعمتان مكفورتان: الأمن والعافية) وعنه (ﷺ) (نعمتان مفتون فيهما كثير من الناس: الفراغ والصحة)(١٠). وكل نعمة من هذه النعم تتحلل إلى ما لا يعد ولا يحصى من النعم، قال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (النحل/١٨) وقد شرحنا في بعض خطبنا السابقة أمثلة على ذلك، ولكن الإنسان يغفل عنها غالبا، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (كم من منعم عليه وهو لا يعلم) ولا يحس بقيمتها إلا إذا فقدها لا سامح الله، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من كان في النعمة جهل قدر البلية) وعن الإمام الحسن (عليه السلام) قال (تجهل النعم ما أقامت، فإذا ولت عرفت)، وإن كان في غنى عن الوصول إلى هذه المرحلة، إذ يكفي تذكرها والالتفات إليها أو تخيل أضدادها لمعرفة قيمتها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إنما يعرف قدر النعم بمقاساة ضدها).

ولابد أن نلتفت إلى أن الأهم من النعم المادية المذكورة النعم المعنوية، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب) وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (لا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق).

ومن النعم المعنوية اجتماع الكلمة على الإيمان بالله تعالى وبرسوله وولاية أهل البيت (عليهم السلام) كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ (آل عمران/١٠٣) قالت الصديقة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها (فأنقذكم الله بأبي محمد (ﷺ)) وروى العياشي في تفسيره قال: كان أبو عبد الله (عليه السلام) إذا ذكر النبي (ﷺ) قال: (بأبي وأمي ونفسي وقومي وعترتي عجب للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله يقول في كتابه (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) فبرسول الله (ﷺ) والله أنقذوا)(١١) ما ورد عن النبي (ﷺ) في تفسير قوله تعالى ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (لقمان/٢٠) (أما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك، وما أفاض عليك من الرزق، وأما ما بطن فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) (النعمة الظاهرة النبي (ﷺ) وما جاء به النبي من معرفة الله عز وجل وتوحيده، وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (ما أنعم الله على عبد أجل من أن لا يكون في قلبه مع الله عز وجل غيره) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن من النعمة تعذر المعاصي)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) (النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب).

وبعد الاطلاع على سعة النعمة وتنوعها وأهميتها ينفتح السؤال عن كيفية الحفاظ عليها وادامتها لأنها معرضة للزوال-والعياذ بالله- فلابد من الحذر، عن رسول الله (ﷺ) قال (أحسنوا مجاورة النعم، لا تملوها ولا تنفروها، فإنها قلما نفرت من قوم فعادت إليهم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها، فإنها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها).

والذي يوجب بقاء النعمة ودوامها ويمنع من نفورها شكر النعمة، والذي يوجب نفور النعمة وزوالها كفر النعمة، وهما معنيان متضادان يعرف معنى كل منهما بعكس معنى الآخر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أحسن الناس حالا في النعم من استدام حاضرها بالشكر وارتجع فائتها بالصبر) وعنه (عليه السلام) (إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (لا تدوم النعم إلا بثلاث: معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شكرها، والتعب فيها) وعن الإمام الهادي (عليه السلام) (القوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها).

إن كفر النعمة وما يقابله من شكرها له معان وأشكال عديدة:

١- عدم استعمالها في طاعة الله تعالى كما مر في الأحاديث الشريفة التي وصفت الفراغ والصحة والأمن بأنها نعم مكفورة لأنها لم تستثمر في طاعة الله تعالى، والأسوأ أن تستخدم في معاصيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أقل ما يلزمكم لله ألا تستعينوا بنعمه على معاصيه) وعنه (عليه السلام) قال (استتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن أردت أن يختم بخير عملك حتى تقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظم لله حقه أن لا تبذل نعماءه في معاصيه).

٢- عدم أداء حقوق النعمة كمن لا يؤدي ما بذمته من الحقوق الشرعية أو يهمل أداء فريضة الحج وهو مستطيع أو لا يصوم شهر رمضان وهو قادر وهكذا، وفي ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدل نعمة الله كفرا، أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا)(١٢) ومحل الشاهد تطبيق الإمام الآية بالنص على من لم يؤدي حقوق الله تعالى في أمواله، وعنه (عليه السلام) قال: (يا أيها الناس: إن لله في كل نعمة حقا، فمن أداه زاده، ومن قصر عنه خاطر بزوال النعمة وتعجل العقوبة، فليراكم الله من النعمة وجلين كما يراكم من الذنوب فرقين) ويشرحها الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله: (إن صاحب النعمة على خطر، إنه يجب عليه حقوق الله فيها، والله إنه لتكون علي النعم من الله عز وجل فما أزال منها على وجل-وحرك يده-حتى أخرج من الحقوق التي تجب لله علي فيها).

فكل نعمة تستوجب حقا، الوالدان نعمة ولهم حقوق، والمرجعية المخلصة العاملة نعمة ولها حقوق، والجاه والموقع نعمة وعلى صاحبه حقوق، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعم)، وهكذا.

ومن كفر النعمة التقصير باستعمال ما أنعم الله تعالى عليه في خدمة الناس وقضاء حوائجهم وادخال السرور عليهم، عن رسول الله (ﷺ) قال (إن لله عبادا اختصهم بالنعم يقرها فيهم ما بذلوها للناس فإذا منعوها حولها منهم إلى غيرهم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء).

فالذي يمكنه الله تعالى في الأرض ويضع تحت تصرفه موارد الدولة والشعب وهو يسخرها لمصالحه الشخصية والحزبية فهو ممن بدل نعمة الله كفرا، والذي يستعمل الوسائل العلمية الحديثة التي أنعم الله تعالى بها على عباده في غير مرضاة الله فهو ممن بدل نعمة الله كفرا وهكذا.

٣- عدم التحديث بها ونشرها قال تعالى ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى/١١) روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سمي حبيب الله محدثا بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبد بنعمة فلم تظهر عليه سمي بغيض الله مكذبا بنعمة الله) فاعتباره مكذبا بنعمة الله مبغوضا عند الله تعالى لأنه لم يحدث بنعمة الله ولم يظهرها، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إني لأكره للرجل أن يكون عليه نعمة من الله فلا يظهرها).

وإن أعظم النعم على الإطلاق الإسلام كما دلت عليه الروايات الشريفة عن الإمام الحسين (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى/١١) قال (عليه السلام) (أمره أن يحدث بما أنعم الله به عليه في دينه)، وتمام هذه النعمة التي كمل بها الإسلام نعمة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) بدلالة النصوص القرآنية ومنها الآية الشريفة التي نزلت في واقعة الغدير وتنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) إماما وهاديا للأمة وخليفة لرسول الله (ﷺ) فنزل قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة/٣) وما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ التكاثر/٨ من حديث الإمام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة قال: (نحن-أهل البيت-النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم اخوانا بعد أن كانوا أعداءا وبنا هداهم الله إلى الإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي (ﷺ) وعترته)(١٣) فأهل البيت ليسوا نعمة فقط بل نعمة باقية ثابتة مقيمة فتكون كثيرة مباركة لذا وصفهم بالنعيم.

ومن مجموع هذه المقدمات نصل إلى نتيجة: أن أوضح مصاديق تبديل نعمة الله كفرا هم الذين لم يؤمنوا بالإسلام وأشركوا بالله تعالى وأنكروا نبوة الرسول محمد (ﷺ).

وممن تنطبق عليهم الآية كل من أعرض عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يلتزم بوصية النبي (ﷺ) فضلا عمن ظلم أهل البيت (عليهم السلام) ونصب لهم العداوة والبغضاء فهو ممن بدل نعمة الله كفرا.

وهذه النتيجة مذكورة نصا في القرآن الكريم بلفظ الانقلاب الذي هو معنى آخر لتبديل النعمة كفرا قال تعالى ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾ (آل عمران/١٤٤) فالألفاظ المستعملة نفسها وهي الانقلاب المرادف للتبديل والشكر المقابل للكفر.

ووردت في ذلك روايات عديدة ففي الكافي بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله (ﷺ) وعدلوا عن وصيه لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب) ثم تلا هذه الآية ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار ۞ جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ (إبراهيم/٢٨-٢٩) ثم قال (نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز)(١٤).

وعلينا أن نتذكر أن من كفر النعمة عدم إظهارها والتحديث بها وعدم القيام بحقوقها كما دلت عليه الروايات المتقدمة، فمن قصر في إظهار نعمة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ولم يتحرك لإقناع الناس بها بأي وسيلة خصوصا مع توسع و[illegible] تبادل المعلومات ونقلها، أو لم يحفظ حرمة أهل البيت (عليهم السلام) في سلوكه وصفاته فهو ممن لم يشكر هذه النعمة وربما انطبقت عليه الآية بمعنى من المعاني.

فليتفقه كل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في دينهم وليطلعوا على سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وفضائلهم ومحاسن كلامهم ليوصلوها إلى البشرية جمعاء إذا أردنا أن نكون من الشاكرين على هذه النعمة، وحتى نكون صادقين مع الله تعالى ومع أنفسنا حينما نتبادل التهاني والتبريكات في مثل هذه الأيام و نحمد الله تعالى على التشرف بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ومباهلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزول سورة هل أتى والتصدق بالخاتم وغيرها من المناقب الكثيرة.

وعلينا أن نحيي أمر أهل البيت (عليهم السلام) خصوصا الشعائر الفاطمية والحسينية شكرا لله تعالى على نعمة مودتهم وولايتهم وقد كثرت الروايات عنهم (عليهم السلام) أنهم هم النعمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وبهم يفوز من فاز، وقد مر في الأحاديث الشريفة أن شكر النعمة يتحقق بإظهارها والتحدث بها.

---

(٧) كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع طلبة فروع جامعة الصدر الدينية في المحافظات المتفوقين في الامتحان المركزي الذي أجري لهم في النجف الأشرف، يوم الأحد ٢٨/ذ.ح/١٤٣٤ الموافق ٣/١١/٢٠١٣. (٨) عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٨٢ ح٥. (٩) تنبيه الخواطر: ٢/ ٢٣٦.

(١٠) تجد مصادر هذه الروايات في: ميزان الحكمة: ٩/ ٧٢. (١١) تفسير العياشي: ١/٢١٨ ح١٢٦. (١٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩ في ذكر المكاييل والموازين. (١٣) راجع الروايات في تفسير البرهان: ١٠/٢٣٠. (١٤) الكافي: ١/١٦٩ ح١.

المرأة وطلب المعالي (١٥)

يوجد شعور أو ارتكاز أو ثقافة لدى النساء قبل الرجال بأنهن قاصرات عن بلوغ المعالي ودرك الكمال، وقد ترسخت هذه الثقافة حتى تحولت إلى قناعة، فاخترت هذا العنوان للحديث عنه.

إن سلوك طريق الكمال يبدأ بالإرادة والعزم، وكلما كان العزم أقوى كان قطف الثمار أسرع (على قدر أهل العزم تأتي العزائم) وينسب السيد الخميني (قده) إلى شيخه (رضوان الله تعالى عليه) قوله (إن العزم هو جوهر الإنسانية وميزان ميزة الإنسان، وإن اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه)(١٦) وإنما يشتد عزم الإنسان وتقوى إرادته بزيادة القناعة والمعرفة، لذا أقدم بعض المحفزات لرفع الهمة.

يوجد في القرآن الكريم والروايات والأدعية الشريفة ثناء عظيم على من تكون همته كبيرة في طلب الكمال ونيل معالي الأمور، قال تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ (الفرقان/٧٤) والزوج لغة يطلق على المرأة والرجل فتجري الآية فيهما معا، ويسجل القرآن الكريم علو همتهم بأنهم يطلبون أن يكونوا للمتقين إماما، ولا يكتفون بأن يكونوا من المتقين، وإن كانت درجتهم رفيعة.

وفي دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي رواه كميل بن زياد (واجعلني من أحسن عبيدك نصيبا عندك، وأقربهم منزلة منك، وأخصهم زلفة لديك، فإنه لا ينال ذلك إلا بفضلك، وجد لي بجودك) والنساء كالرجال يطلبن ما في هذا الدعاء كل ليلة جمعة فيمكن أن يكون أ[illegible] واحد منا نساءا ورجالا، أحسن عباد الله [illegible]با وأقربهم إليه تبارك وتعالى بعد الإمام المعصوم (عليه السلام)، والدليل على إمكان الوصول إلى هذه المرتبة بفضل الله تبارك وتعالى تعليم الإمام لنا أن ندعو الله تعالى بذلك ولو كان مستحيلا فلا معنى لطلبه.

وفي دعاء الافتتاح الذي يدعى به كل ليلة من شهر رمضان المبارك (اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها خير الدنيا والآخرة) فتطلب سواء كنت رجلا أو امرأة في هذا الدعاء من الله تعالى أن يجعلك من القادة إلى سبيله في دولة الإسلام الكريمة وليس فقط من عامة المؤمنين والصالحين وإن كان هؤلاء في نعيم.

فإذن هذا كله ممكن ومتيسر للنساء والرجال على حد سواء بعد الأخذ بأسبابه ووسائله الموصلة إليه قال تعالى ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ (آل عمران/١٩٥) فهذا الموقع الشريف وهي القيادة في الدولة الكريمة ممكن بل هو واقع بحسب ما أفادت روايات أخبار الظهور، ففي حديث مطول روته عدة مصادر كتفسير العياشي وغيبة النعماني وإرشاد المفيد وغيبة الطوسي وغيرهم كثير بأسانيد متعددة عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر (عليه السلام) وفيه تفاصيل عن بداية ظهوره (عليه السلام) وحركته المباركة وخطبته في المسجد الحرام، ومحل الشاهد فيها إنه بعد أن يطلب الإمام النصرة بقوله (عليه السلام) (فمن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله إنا نشهد وكل مسلم اليوم إنا قد ظلمنا وطردنا وبغي علينا وأخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهالينا وقهرنا ألا إنا نستنصر الله اليوم وكل مسلم).

يقول الإمام الباقر (عليه السلام) (ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف يتبع بعضهم بعضا، وهي الآية التي قال الله ﴿أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير﴾ فيقول (عليه السلام) ثم يخرج من مكة هو ومن معه الثلاثمائة وبضعة عشر يبايعونه بين الركن والمقام)(١٧).

وهذه الرواية تدل على عظمة المنزلة التي يصل إليها هذا العدد الكبير من النسوة ويتصفن بالخصال الكريمة التي ذكرتها الروايات الشريفة لأصحاب الإمام (عليه السلام)، فيتأهلن لممارسة دور قيادي في دولة الإمام لأن الثلاثمائة وثلاثة عشر هم القادة في تلك الدولة الكريمة.

ويبرز بذلك دور المرأة الإنسانة في التصدي لأعلى المواقع ونيل أرقى الكمالات لا المرأة التي يتاجر بحقوقها وتمتهن كرامتها ويفرض وجودها في الأروقة السياسية بالكوتا ونحوها.

ولا شك أن الوسيلة التي تصل بها المرأة إلى هذه المقامات تبدأ من خط الشروع والقاعدة الأساسية وهي التزامها بواجباتها الدينية على أكمل وجه، عن النبي (ﷺ) قال: (كل امرأة صالحة عبدت ربها وأدت فرضها وأطاعت زوجها دخلت الجنة)(١٨). وهذا يتطلب منها تفقها ومعرفة بأمور الدين بمعناه الواسع الشامل للأحكام الشرعية والمبادئ الاعتقادية والأخلاق السامية ومعرفة أولياء الأمور وهم الأئمة الذين فرض الله ولايتهم ومودتهم وقرن طاعتهم بطاعته.

وتتكفل الحوزات العلمية بشكل عام تغذية هذه العلوم والمعارف والأحكام بفضل الله تبارك وتعالى وبهذا تتحقق فائدة مزدوجة، تكاملكم في أنفسكم، وتأهيلكم لإنشاء أسرة صالحة وتربية أبنائكم بشكل سليم يحقق لكم الصدقة الجارية التي ذكرها الحديث الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، صدقة جارية، ولد صالح يدعو له)(١٩) فلا تتحقق الصدقة الجارية بأي ولد بل بالولد الصالح الذي يستمر بالتكاثر والتوسع إلى يوم القيامة فكم سيكون هذا الرصيد المبارك؟

ذكرنا هذا على نحو الاختصار لأنه واضح وملتفت إليه، ولكننا نشير الآن إلى بعض الخطوات العملية التي تزيد في التكامل وتوصل إلى المراد بإذن الله تعالى، ونأمل أن تكون من الإضافات التي تتميز بها هذه المؤسسة المباركة (جامعة الزهراء الدينية) عن بقية المؤسسات وتهتم بها:

١- إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنها معطلة وغائبة في المجتمع وهذا التعطيل لدى النساء أشد لضعف حركة التبليغ والوعظ والإرشاد، رغم أن هذه الفريضة وصفت في الأحاديث الشريفة بأنها أسمى الفرائض وأعظمها وأنها منهاج الأنبياء وسبيل الصلحاء وغير ذلك.

ويكفي أن ننقل حديثا واحدا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان عظمتها قال (عليه السلام): (وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي) فتصوروا عظمة هذه الفريضة، فهل يسعنا بعد هذا أن نتقاعس عن إحيائها وتفعيلها؟ ومن نافلة القول الإشارة إلى آليات أداء هذه الوظيفة ومنها المنشورات والكتيبات والمجالس والحوارات ونحو ذلك.

ومن هذه الناحية فقد نجحت فروع الجامعة بتقديم العشرات من المبلغات الرساليات ومرشدات قوافل الحجاج ولهن صفحات نافعة على مواقع التواصل الاجتماعي وتركن أثرا مباركا فجزاهن الله خير الجزاء.

٢- الاتصاف بالحياء والعفة، وهاتان الصفتان في النساء خصهما بالطلب الدعاء المأثور في زمن الغيبة الذي أوله (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية) والذي يبين الصفات المطلوبة في كل شريحة كالعلماء والأمراء والأغنياء والفقراء والشباب وغيره إلى أن يقول (وعلى النساء بالحياء والعفة) فالتركيز عليهما ناشئ من أهميتهما ودورهما في تكامل النساء.

وقد وردت فيهما أحاديث كثيرة كالمروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (العفة رأس كل خير)(٢٠) وقد جعلته إحدى الفاضلات عنوانا لكتاب مفصل في هذه الخصلة الكريمة.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجرا ممن قدر فعف، لكاد العفيف أن يكون ملكا من الملائكة)(٢١) وعنه (عليه السلام): (بالعفاف تزكو الأعمال)(٢٢).

وورد في الحياء قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحياء سبب إلى كل جميل)(٢٣) وقوله (عليه السلام): (الحياء مفتاح كل الخير)(٢٤) وتلاحظ أن العفة والحياء يشتركان في صفة كونهما أصل وسبب ومنشأ كل خير وجميل.

وقد عرف الحياء بأنه (انقباض النفس عن القبائح وتركها، وفي الحديث الشريف (إن الله حيي) أي تارك للقبائح فاعل للمحاسن)(٢٥) وفسرت العفة بأنها (حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة)(٢٦).

فهما إذن ملكتان نفسيتان وخصلتان كريمتان بهما جمال المرأة وكمالها، أما ارتداء الحجاب الخارجي مهما كان مهما فهو جزء منهما ومظهر لهما لكنه لا يكفي وحده للتعبير عنهما ما لم ينعكس أثرهما على السلوك الخارجي والتعامل مع الآخرين، فلا فضول في الكلام ولا ملاطفة ولا انبساط في الحديث ولا خضوع بالقول ونحو ذلك، أما ما نسمع عنه اليوم من جلسات مختلطة غير محتشمة وصداقات وحوارات بين المؤمنين والمؤمنات على مواقع التواصل الاجتماعي أو بأي وسيلة أخرى مباشرة أو غير مباشرة تحت عنوان الحوار المفيد أو الهادف أو أي شكل آخر هو خداع مناف للحياء والعفة ولا مبرر له لإمكان التواصل مع أبناء نفس الجنس، وتوجد شواهد كثيرة على انتهاء هذه العلاقات إلى نتائج مؤلمة.

إننا نفخر بأن جامعة الزهراء الدينية لكل فروعها أصبحت رمزا للحياء والعفة ويشيد بها حتى من لا يوافقنا في بعض التوجهات.

٣- والخطوة العملية الأخرى المطلوبة هي حث النساء على الترفع عن المباهاة والتفاخر والتزين بأمور الدنيا والتنافس مع النساء الأخريات والتفوق عليهن، فهذه أمور تافهة لا قيمة لها وإن التنافس الحقيقي بالعمل الصالح وبالخصال الكريمة التي أشرنا إليها، أما هذه المنافسات الدنيوية فهي من خدع الشيطان.

٤- السعي الدؤوب لحماية المجتمع من المشاكل العائلية والخلافات على أمور لا تستحق الالتفات إليها تسبب الكراهية والبغضاء بين الأخ وأخته والأم وولدها والزوج وزوجته والأب وأبنائه وبين الجيران والأرحام ونحو ذلك وتتضاعف وتتضخم وتؤدي إلى تفكك الأسر وتخريب المجتمع وهو ما يبغضه الله ورسوله (ﷺ) ويؤدي إلى تشوش الفكر وانشغال القلب وزيادة الهم، وعلى العكس فإن المرأة تستطيع أن تصبح بعواطفها الجياشة ورحمتها الواسعة وقلبها الكبير أن تصبح جسرا للمودة والمحبة والتواصل بإذن الله تعالى.

هذه بعض الخطوات العملية التي فيها تلبية لاستنصار الإمام المهدي (عليه السلام) في خطبة الإعلان عن حركته (إلا إنا نستنصر الله اليوم وكل مسلم) فكونوا من أنصار الله تعالى وأنصار الإمام (عليه السلام) بتوفيق الله ولطفه.

---

(١٥) حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع الملتقى السنوي الثالث لإدارات ومدرستان فروع جامعة الزهراء (عليها السلام) النسوية في المحافظات وقد عقد في النجف الأشرف يوم الخميس ٢٦/ذ.ق/١٤٣٤ المصادف ٣ /١٠/ ٢٠١٣ (١٦) الأربعون حديثا: ٣٤.

(١٧) راجع مصادر الرواية في (المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٣٥٢ (١٨) مستدرك الوسائل: ١٤/ ٢٣٨ ح١٦٦٠٢ (١٩) شرح أصول الكافي، ج٦، ص١٣٧. (٢٠) غرر الحكم: رقم ١١٦٨. (٢١) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٧٤.

(٢٢) غرر الحكم: رقم ٤٢٣٨. (٢٣) بحار الانوار ج٧٧ ص٢١١. (٢٤) غرر الحكم / ح ٣٤٠٠. (٢٥) المفردات للراغب، مادة (حيي). (٢٦) المصدر، مادة (عف).

بمناسبة حلول العام الدراسي : دروس أخلاقية وتربوية من قصة قصيرة (٢٧)

أنصح دائما الخطباء والمعلمين وأولياء الأمور وكل المهتمين بالتربية والإصلاح والإرشاد أن يستفيدوا من القصص والحوادث والوقائع في أداء رسالتهم، لأنها تشد المتلقي وتثبت في عقله ووعيه لترابط الأحداث فيها، وهذا يؤدي إلى رسوخ الفكرة لديه، وهذه الثمرات واضحة، فالخطيب مثلا حينما يبدأ بعرض حكاية أو حادثة فتجد الحضور ينشدون إليه ويصغون، فهذا الأسلوب ناجح ومثمر خصوصا في تربية الأطفال وتثقيفهم.

ولاشك أن الكتب حافلة بعدد هائل من القصص التي يمكن الاستفادة منها لتربية المجتمع وتوعيته وتوجيهه نحو الأخلاق السامية والمثل الإنسانية، وسأروي لكم واحدة منها و نحاول استخلاص الدروس والعبر.

كان المرحوم الميرزا النائيني مرجع الشيعة قبل حوالي ثمانين عاما (توفي سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ١٩٣٦) وهو من العلماء المحققين وأستاذ لعدد كبير من المراجع والعلماء كالسيد الحكيم والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي وأمثالهم (قدس الله أرواحهم جميعا) وكان يحضر بحثه أكثر من (٤٠٠) طالب بمختلف المستويات، لكن الذين يفهمون مطالبه العلمية المعمقة لا يتجاوز عشرة بالمئة من العدد، وبين الحضور كثير لا يفقه شيئا إلا أنه يحضر للتبرك ونحو ذلك، وإذا شارك في سؤال أو مناقشة فإنه ينكشف أمره أمام الحاضرين.

وكان من هؤلاء المتدنين في العلم شخص متوسط العمر إلا أنه فاجأ أستاذه والعلماء الحاضرين ذات يوم بمناقشات وتحقيقات أذهلتهم لأنها لا تتصور من أمثاله وإنما من العلماء المحققين الذين أمضوا سنين في البحث والتحقيق فانبهر الأستاذ وأوقف بحثه وطلب من الحاضرين الهدوء والإنصات لهذا الشيخ ليعرف سر هذه القفزة الكبيرة في مستواه العلمي، وهنا تحدث الشيخ.

قال: خرجت ليلة أمس لأشتري الخبز فمررت على خربة يصدر منها أنين ظننت أنهم جراء لكلبة ولدتهم، فلما دخلت وجدت هرة مطروحة على الأرض ميتة وأفراخها يلوذون بها ليمتصوا منها اللبن فلا يجدون ويتألمون من الجوع، فانكسر قلبي ودمعت عيني وذهلت عن الغرض الذي خرجت من أجله، وعلى الفور ذهبت إلى السوق فاشتريت لبنا وقنينة إرضاع الأطفال وأخذت أملأها باللبن وأرضع صغار الهرة حتى شبعوا وهدأوا وناموا، ثم ذهبت في الصباح الباكر وكررت ذلك، وشعرت حينئذ أن شيئا ما حصل في قلبي أحسست ببرده وسكينته وعندما جئت إلى البحث وجدت نفسي أفهم كل ما تلقونه وكأنني واظبت عليه منذ سنين، فتأثر الشيخ النائيني والحاضرون وأجهش بعضهم بالبكاء وقال (قده): إنها معاملة مع الله، والله يقول: ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم﴾ (الأنفال/٦٠).

ونستطيع أن نستخلص عدة دروس تربوية وأخلاقية من هذه الحادثة:

١- الاطمئنان بما نعتقد به جزما من أن الله تعالى لا يهمل أي عمل فيه خير وإحسان بل يجازيه بما هو أحسن منه ويكافئ صاحبه قال تعالى ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ (الكهف/٣٠) وقال تعالى ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ (الأعراف/١٧٠) وقال تعالى ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ (آل عمران/١٩٥) وهذا الجزاء والثواب يكون في الدنيا والآخرة، ونحن لا نعلم شكله وكيفيته، فصاحب هذه الحادثة أعطي علما جما لأن وظيفته طلب العلم، ويمكن أن يكافئ آخر بسعة في الرزق أو بزوجة صالحة أو بذرية طيبة أو بجاه اجتماعي ومكانة بين الناس وغير ذلك.

٢- سعة رحمة الله تعالى، فإذا كان الإنسان وهو مخلوق ضئيل لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا يحمل هذا القلب الكبير والرحمة الواسعة وتهتز مشاعره لهذه الهررة مع أنها لا توجد رابطة ولا مناسبة بينهما فكم هي سعة رحمة الله تعالى بعباده الذين خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه واعتبرهم عياله كما في الحديث (الخلق عيال الله)، وإن نسبة رحمة الإنسان إلى رحمة ربه لا تساوي شيئا، ففي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد (ﷺ) ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة)(٢٨).

فمجموع هذه الرحمات التي يتراحم بها الجن والإنس والحيوانات فيما بينهم هي كالجزء من مئة جزء من رحمة الله تعالى.

٣- أن نكون مطمئنين إلى أن الرزق مكفول للعباد وأن أي نفس خلقها الله تعالى لا تخرج من هذه الدنيا حتى تستوفي رزقها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (لكل ذي رمق قوت) وعنه (عليه السلام) قال: (عياله الخلائق، ضمن أرزاقهم، وقدر أقواتهم)(٢٩) فيجب أن لا ننهمك في طلب الدنيا والمال وربما تطلب ذلك غض النظر عن مصدر هذا المال وأنه من حرام أو حلال كالذي ابتلي به مجتمعنا من انتشار الفساد وخيانة المال العام وسلوك الطرق الملتوية للاستزادة منه فيجزون على أنفسهم نار جهنم ولو أنهم صبروا وكبحوا جماح نزواتهم لأتاهم رزقهم لأن الله تكفل بذلك.

وفي هذه الحادثة شاهد على ذلك، لأن قططا حديثة الولادة لا تقدر على شيء وفي خربة قد ماتت أمها التي تغذيها واحتمال بقائها حية ضعيف جدا ومع ذلك سخر الله تعالى لها من يطعمها ويسقيها فكيف بالإنسان الذي زوده الله تعالى بكل ما يعينه على طلب الرزق الحلال الذي يضمن له حياة كريمة لذا وردت الموعظة والنصيحة في الحديث عن رسول الله (ﷺ): (ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته)(٣٠).

٤- أن لا تستصغر شيئا من عمل الخير والإحسان فقد يكون عظيما عند الله ويكافئك بأعظم الأجر، فمجتمعنا البعيد عن أخلاق الإسلام لا يرى ما فعله هذا الشيخ شيئا له قيمة وربما يستهزئ به، لأن السائد هو العبث بهذه الحيوانات الضعيفة ورميها بالحجارة واللعب بإيذائها وهكذا، لكن ما فعله هذا الشيخ لقي قبولا ورضا عند الله تعالى فكافأه بالأجر العظيم.

٥- أن لا ييأس الإنسان من تكرار التجربة إذا حصل له الفشل فيمكن أن ينجح في المرة الثانية أو العاشرة أو أزيد من ذلك ولا يجعل الشعور بالإحباط ينفذ إلى قلبه وعقله، فهذا الشيخ لم يكن يفهم الدرس مدة لكنه بقي متواصلا مع الحضور إلى أن جاءت الساعة التي فتح الله تعالى عليه بها وسجل الإنجازات، فلنستفد من هذا الدرس في كل شؤون حياتنا في الدراسة أو في العمل أو عند إصلاح الآخرين أو في حل المشاكل وفك العقد وغيرها وكذلك في الدعاء فلا نشك ولا نحبط من عدم الإجابة ونظل نطرق الباب إلى أن يأذن الله تعالى بفتحها، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (أكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة و نجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه)(٣١).

٦- إن قنوات تحصيل العلم عديدة لا تقتصر على الطرق الطبيعية المتعارفة من الدراسة ومطالعة الكتب فقد يلهم الله تعالى العلوم والمعارف للشخص بأن يقذفها دفعة واحدة في قلبه وعقله عندما يطهرهما وينقيهما الإنسان فتصبح مرآة نقية تعكس الحقائق الواقعية ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (الجمعة/٤) كما أوحى الله تعالى إلى أم موسى ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ (القصص/٧) بل إلى الحيوان كالنحل ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ (النحل/٦٨) فالشيخ صاحب القصة المذكورة لم ينل علمه بدراسة وقراءة كتب وسماع من أستاذه بل ألقي في قلبه حتى شعر ببرودته المعنوية وطمأنينته، قال تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (البقرة/٢٨٢) وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ (الأنفال/٢٩).

وهذا يزرع الأمل في قلوب طلاب العلم والمعرفة حتى لا يقولوا لسنا مؤهلين ولا نفهم شيئا أو ما يقال في المثل الشعبي السيئ (عكب ما شاب ودوه للكتاب) أي بعد أن بلغ سن المشيب بعثوه إلى الكتاتيب على الطريقة القديمة والمدارس ليتعلم، فهذا المثل وأمثاله يركز ثقافة خاطئة تدخل اليأس من التعلم لدى من تقدم بهم العمر فيستمرون على حرمانهم من قراءة القرآن والأدعية المباركة وضروريات حياتهم بينما هذه الحادثة تعلمنا أن كل شيء ممكن مع الإخلاص والصدق والأمل.

وهذا يدفع طلبتنا الأعزاء الذين يتعسر عليهم فهم بعض الدروس إلى القيام بالمزيد من أعمال البر والإحسان كخدمة والديهم وادخال السرور عليهم أو قضاء حوائج الناس أو مساعدتهم فيفتح الله عليهم بسبب ذلك.

٧- ومن خلال هذه الحادثة وأمثالها نتعرف على سبق شريعة الإسلام إلى وضع قوانين حقوق الحيوان والرفق بها ورعايتها مما يتبجح بوضعه الغرب مؤخرا وهذا دليل على عظمة الإسلام وسمو تعاليمه، بحيث أن الله تعالى يكرم هذا الشيخ ويعطيه الجزاء الكبير في الدنيا والآخرة لأنه أشفق على حيوانات ضعيفة وأطعمها وسقاها.

والأحاديث في ذلك كثيرة كالمروي عن رسول الله (ﷺ) قال (من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة ويقول: يا رب عبدك قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة)(٣٢)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إن امرأة عذبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشا)(٣٣)، وروي عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال (مر رسول الله (ﷺ) على قوم نصبوا دجاجة حية وهم يرمونها بالنبل، فقال: من هؤلاء لعنهم الله)(٣٤) وقصة العابد الذي خسف الله تعالى به الأرض فهو يهوي أبد الآبدين لأنه رأى أطفالا يعبثون بديك وينتفون ريشه ولم ينههم عن ذلك(٣٥).

٨- إن من الأعمال التي يقوم بها الإنسان لا يثاب عليها ولا يؤجر إلا إذا نوى بها القربة إلى الله تعالى وبدون هذه النية لا يكون عملا عباديا فلا يعطى الأجر كمن انشغل بشيء فلم يأكل ولم يشرب من الفجر حتى الغروب فإنه لا يعتبر له صوما حتى ينويه صوما قربة إلى الله تعالى.

ويستثنى من ذلك الأعمال الإنسانية التي فيها إحسان للآخرين حتى الحيوانات فإن الله ت[illegible] يكافئ عليها حتى لو لم ينوي صاحبها القربة إلى الله تعالى، كهذا الشيخ فإنه اندفع إلى إطعام القطط الصغيرة بداعي الشفقة وربما لم يلتفت إلى نية القربة لكن الله تعالى جازاه خيرا، لأن الله تعالى خالق كل الموجودات وكلهم عياله فالإحسان الذي يقدمه الإنسان إلى أي مخلوق يعتبره إحسانا إليه ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن/٦٠)، في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (قال الله عز وجل: الخلق عيالي فأحبهم إلي ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم)(٣٦) فكلما كان الإنسان أشفق وأرحم بعباد الله تعالى كان أقرب إلى رحمة الله وفضله ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ (الأعراف/٥٦).

هذه عدة دروس ولعلكم تلتفتون إلى غيرها بالتأمل والتدبر، وإنما اخترت هذا الحديث لأحفز أخواني المدرسين والمعلمين ليكونوا أكثر رحمة وشفقة على طلبتهم، وأن يكونوا أكثر شعورا بالمسؤولية عنهم (كلكم راع وكلكم م[illegible] عن رعيته) وأن لا يقصروا في أداء واجبهم فإن كل إحسان مدخر لهم عند الله تعالى ويكافئهم عليه.

وأيضا لأحفز الطلبة لبذل مزيد من الجهد والإصرار والمثابرة على تحصيل العلم وأن يتوقعوا من الله تعالى كل مزيد من حيث لا يحتسبون ولا يتسرب الإحباط والملل إلى نفوسهم، وأن يكونوا بارين بآبائهم ومعلميهم واخوانهم وسباقين إلى فعل الخير، فربما جازاهم الله تعالى على فعل واحد من أفعال الخير بأن يفتح عقولهم لدروس كانت مقفلة عليها.

وأن لا يقصر جميع المربين والخطباء والمعلمين وأولياء الأمور من إعطاء هذه الجرعات الأخلاقية لتهذيب النفوس وتطهير القلوب معززة بالقصص والحوادث لمواجهة حملات الإفساد والتخريب الأخلاقي والفكري والاجتماعي والله المستعان.

---

(٢٧) حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الهيئة التدريسية في قضاء المناذرة في محافظة النجف وجمع من المثقفين والأكاديميين في مركز اليقين الثقافي في الكوت يوم السبت ١٤/ذ.ق/١٤٣٤ الموافق ٢١/ ٩/ ٢٠١٣، ومع حشد من الفتيان من طلبة العلوم الدينية في مدينة الصدر في بغداد يوم الخميس ١٢/ذ.ق/١٤٣٤. (٢٨) كنز العمال للمتقي الهندي: ٢/ ١٦٧، بحار الأنوار: ٦/ ٢١٩. (٢٩) نهج البلاغة، الخطبة ٩١. (٣٠) الكافي: ٢/ ٧٤ ح٢. (٣١) ميزان الحكمة، الباب ١١٦٩، الحديث ٥٥٨٥.

(٣٢) كنز العمال/ ٣٩٩٧١، بحار الأنوار: ٦١/٣٠٦. (٣٣) مكارم الأخلاق: ١/٢٨٠ ح٨٦٤. (٣٤) بحار الأنوار ٦١/٢٦٨ عن نوادر الراوندي: ٤٣. (٣٥) كتاب (أسمى الفرائض) الفصل الثاني ح٥٠. (٣٦) الكافي: ٢/ ١١٩.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني : com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي